

مجازر 8 ماي 1945 في منظور شارل روبير أجرون

- دراسة تحليلية -

د. لمياء بوقريوة

جامعة باتنة

الملخص:

كلنا نتفق أن ما حدث في 8 ماي 1945 هي جريمة في حق الشعب الجزائري، إلا أن فرنسا تسعى جاهدة إلى تقزيمها، بل والأكثر سخرية من ذلك تسعى إلى وضع نفسها محل الضحية. لكن هناك رجال عادلون داخل الدولة الفرنسية نفسها أبوا إلا أن يكشفوا عن الحقيقة في فترة كنا فيها نحن -ولا نزال- لم نستطع الوصول إلى ورقة واحدة من أرشيف الدولة الفرنسية الخاص بهذه الجريمة، التي لا تزال لحد يومنا هذا تدفع بها إلى طي النسيان، وتشكك فيها وتقلص من روعها ومن عدد ضحاياها ومن عدالة مطالبها. من خلال هذا المقال أردنا أن نوضح رؤية المؤرخ الفرنسي شارل روبير أجرون لمجازر 8 ماي 1945 من خلال دراسة تحليلية لمقال خاص بالدكتور روبير أجرون بعنوان:

/Les troubles du nord-constantinois en mai 1945.in:Vingtième siècle .Revue d'histoire. N°4, octobre 1984.

Résumé:

Nous convenons tous que ce qui s'est passé le 8 mai 1945 est un crime contre le peuple Algérien, mais la France a fait tout pour réduire les dégâts et cherche même à minimiser ses faits criminels en voulant plaider sa cause pour arriver à démontrer au monde extérieur qu'elle est victime.

Heureusement que parmi le peuple français se trouve des historiens légaux qui reconnaissent les faits réels tel que l'historien Charles Robert Ageron qui a voulu mettre à jour la réalité qui s'est produite durant ces événements.

Aussi, à travers cet article nous voulons faire une vision claire de cet historien concernant le 8 mai d'après son article intitulé:

Les troubles du nord-constantinois en mai 1945.in:Vingtième siècle .Revue d'histoire. N°4, octobre 1984.

مقدمة:

إن جرائم فرنسا في الجزائر لا تعد ولا تحصى، سواء من حيث الكم أو النوع، ولعل الإجرام فطرة في الدولة الفرنسية، وخاصة من خصوصياتها، والدليل على ذلك أن الدول التي أجمرت في حق شعوب أخرى ندمت ولو ظاهريا -على أفعالها المشينة واعتذرت لتلك الشعوب -حتى ولو ظاهريا- وعوضتها حتى ولو رمزيا- وآخر هذه الدول المعترفة بذنبها والتي أقرت بجريمتها دولة صربيا الذي أصدر برلمانها يوم 2010/03/30 اعتذارا رسميا لأسر ضحايا مذبحه "سريبرينيتشا".

بينما لا تزال فرنسا -إلى يومنا هذا- ترفض الاعتذار للشعب الجزائري بما اقترفته من جرائم في حقها، خاصة ما وقع من قمع دموي في الثامن من ماي من سنة 1945 وتسعى جاهدة إلى تقزيم هذه المجازر، بل والأكثر سخرية من ذلك تسعى إلى وضع نفسها محل الضحية، وتعتبر وجودها في الجزائر مَنَّا علينا وتصدر فوق كل شيء قانون 23 فيفري 2005 لتمجد فيه تاريخ وجودها في الجزائر.

لكن هناك رجال عادلون داخل الدولة الفرنسية نفسها أبوا إلا أن يكشفوا عن الحقيقة في فترة كنا فيها نحن -ولا نزال- لم نستطع الوصول إلى ورقة واحدة من أرشيف الدولة الفرنسية الخاص بهذه الجريمة، التي لا تزال لحد يومنا هذا تدفع بها إلى طي النسيان، وتشكك فيها وتقلص من روعها ومن عدد ضحاياها ومن عدالة مطالبها.

من هؤلاء الرجال العادلون تجاه هذه القضية، شارل روبير أجرون، أكاديمي ومؤرخ فرنسي أنصف القضية الجزائرية، بكفاءة عالية وروح علمية

نزيهة شهد له بها الكثير من المؤرخين الجزائريين ومن بينهم الدكتور **محفوظ قداش** الذي وصف أعماله بالموضوعية والنزاهة وخلوها من الشحنة الإيديولوجية أو مسحة التملق، الأمر الذي أضفى عليه المصداقية. كما اعتبره صورة صادقة للصراع الذي دار بين المجتمع المسلم الجزائري، وبين المستوطنين المدعمين بالإدارة الفرنسية.

فمن هو شارل روبير أجرون؟ ماهي مواقفه تجاه القضية الجزائرية؟ كيف نظر هذا المؤرخ إلى فظاعة القمع الدموي في 8 ماي؟ من كان وراء هذه الجريمة في نظره أو من كان المسؤول عنها؟ من نفذها؟ هل أنصف الشعب الجزائري في إطار هذه الجريمة؟ كيف أنه كان مقتنعا بدهاء المستعمر بالرغم من ذلك لم يستطع الإبقاء على فكرة الجزائر الفرنسية؟ كيف استطاع أن يبرهن على أن 8 ماي 1945 نقطة انعطاف في الحركة الوطنية وهي الحد الفاصل بين المطالبة بالحقوق السياسية، وبين الاستعداد للثورة المسلحة لانتزاع حقوق الشعب المهضومة؟ وكيف نظرت إليه الدولة الفرنسية فيما يخص مواقفه؟

1- علاقة شارل روبير أجرون بمجازر 8 ماي 1945:

اكتشف شارل روبير أجرون¹ لأول مرة واقع الاستعمار الفرنسي الغاشم بالجزائر سنة 1945م، وهو يؤدي ما تبقى له من الخدمة العسكرية، وشاهد بأمّ

¹ ولد المؤرخ شارل روبير أجرون عام 1923، في مدينة ليون (فرنسا). درس التاريخ، وتم تعيينه عام 1947 في ثانوية تيوفيل غوتي الواقعة في الجزائر، وفي 1957 أصبح أستاذا في ثانوية لاكنال دو سو. عمل ملحقا للبحوث بالمركز الوطني للبحث العلمي الفرنسي من عام 1959 إلى غاية 1961. تقلد عام 1961 منصب مساعد ثم أستاذ مساعد في جامعة السوربون الفرنسية، وبقي فيها لغاية عام 1969. التحق بعدها بجامعة باريس حيث عمل أستاذا، وانسحب خلال السنوات الأخيرة بسبب مرضه من الحياة الثقافية والجامعية الفرنسية. ألف الكثير من الكتب التي تتناول الحقبة الاستعمارية لفرنسا، وخصوصا فترة احتلالها للجزائر.

عينيه المجازر التي ارتكبتها الفرنسيون ضد الجزائريين المسلمين في النصف الأول من شهر ماي، عندما نظموا مظاهرات سلمية يوم 8 ماي للمطالبة بحق تقرير المصير، بعد أن ساهموا بالنفس والنفيس في تحقيق نصر الحلفاء ضد النازية. وكانت جرائمهم المرتكبة في سطيف وقالمة وخراطة بصفة خاصة، بمثابة الصدع الذي عمق الشّرخ بين الجزائريين (الأهالي) المقموعين، وبين المستوطنين الفرنسيين الذين استحوذوا على خيرات الجزائر. ثم تعرض للحادثة التي كشفت له عن عنصرية المستوطنين، وجعلته يوظف قلمه في إطار البحث العلمي لكشف مظالم الاستعمار، وهي تنازله ذات مرة لامرأة جزائرية عن مقعده في الحافلة التي كان يقلها وهو بزيّ العسكري، مما سبب له سخطا وذما كبيرين من طرف المستوطنين².

أما فيما يخص أعماله الفكرية فقد تميزت بالروح العلمية، والاعتماد على المادة الأولية الضرورية للمؤرخ، والمتمثلة في الأرشيف والوثائق، التي اطلع على الكثير منها سواء في الجزائر أو فرنسا. وكان قد عيّن بعد عودته إلى فرنسا أستاذا بثانوية (La kanal de Sceaux) قرب باريس، ثم أستاذا مساعدا بجامعة السربون سنة 1961، وهناك احتك بالأستاذ الذائع الصيت شارل أندري

-من أهم أعماله: الجزائريون المسلمون وفرنسا. حكومة الجنرال برتوزان بالجزائر (التي حكمت في العام 1831). تاريخ الجزائر المعاصر (من 1830-1988). السياسات الاستعمارية في المغرب العربي. مناهضة الاستعمار في فرنسا (من 1871-1914). فرنسا الاستعمارية أو حزب استعماري. تاريخ الجزائر المعاصر (1871-1954-) الجزائر الجزائرية من نابليون الثالث إلى ديغول. غامبيتا واستئناف التوسع الاستعماري.

في عام 2000، نظم ملتقى في جامعة السربون الفرنسية ضم عشرات من المؤرخين من جميع أنحاء العالم، حيث نوه الحاضرون بالمستوى العلمي والفكر المنهجي وثبات الرأي الذي تمتع به اجيرون. - توفي يوم 3 سبتمبر من سنة 2008.

² Hommage à Charle-Robert Ageron. sur: www.bouchene.com

جوليان (1891-1991م) المختص في تاريخ المغرب الكبير، فأشرف عليه لنيل شهادة الدكتوراه بدراسته الموسومة (الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919) التي نوقشت سنة 1968م. وعقب ذلك عيّن مدرسا محاضرا ثم أستاذا محاضرا في جامعة (تور . Tours) من سنة 1969 إلى سنة 1981م، لينتقل بعدها إلى جامعة باريس. كما ترأس المؤسسة الفرنسية لتاريخ ما وراء البحر، والمجلة الفرنسية لتاريخ ما وراء البحر.

أهم ما كتب شارل أجبرون كتاب (الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871 . 1919) الذي اعتبره المختصون عملا مرجعيا لسياسة الجمهورية الثالثة، التي كرست الإيديولوجية الاستعمارية. وصورة صادقة للصراع الذي دار بين المجتمع المسلم الجزائري، وبين المستوطنين المدعمين بالإدارة الفرنسية، التي وظفت أدوات عديدة لتدمير تنظيمات الجزائريين الاجتماعية، ولتشديد الخناق على الإسلام عن طريق تعطيل القضاء الإسلامي وتشجيع التنصير، وتخريب مؤسساتهم التعليمية، وقهر الجزائريين بقانون الأهالي والمحاكم القمعية³.

2-تحليل ما جاء في مقاله المدون أدناه:

Les troubles du nord-constantinois en mai 1945.in:Vingtième siècle .Revue d'histoire. N°4, octobre1984.

يقسم شارل روبر أجرون مقاله إلى العناصر التالية:
مقدمة، ثم :

³ أنظر: شارل روبر أجرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا 1919 1871) م ترجمة محمد حاج مسعود/ ا. بكلي، الطبعة الأولى، دار الرائد للكتاب الجزائر 2007 م. و: كذلك

Hommage à Charle-Robert Ageron.sur: www.bouchene.com

1. تاريخ ما قبل الأحداث. La préhistorique des événements.

2. تفسيرات جد مختلفة. Des explications fort diverses.

3. كم عدد الضحايا؟ Combien de morts ?

في المقدمة يبدأ آجرون بوضع الإشكالية التالية، هل من الممكن وبعد 39 سنة من أحداث 08 ماي 1945 بالجزائر تناول القضية بدون عاطفة أو ذاتية وذلك من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية؟

- كيف يجب شرح والحكم على ما اتفق على تسميته في الجزائر "بالإبادة الاستعمارية ماي 45" (génocide colonialiste de mai 45) وما اتفق على تسميته في فرنسا بـ "مشاكل بالشمال القسنطيني"؟.

• هل يجب أن نتحدث من أجل وصفها على أنها استفزاز استعماري (provocation colonialiste) أو محاولة تمرد (tentative insurrectionnelle) يقول: المهمة ليست سهلة والنقد التاريخي يجوز الطعن فيه إذا وضع في الحسبان بعض الأفكار.

• ومن خلال هذه الإشكالية، يستعرض آجرون وجهات نظر مختلفة لبعض المؤرخين الفرنسيين والجزائريين حول المجازر، وأول مؤرخ فرنسي بين وجهة نظره حول المجازر هو أستاذة شارل أندري جوليان، الذي قال عنها بأنها "حركة تمردية" (mouvement insurrectionnel) ويبدو غير صحيح أن تنسب الثورة إلى استفزازات

فاشية بقدر ما يبدو أن تنسب إلى عزم على تنظيم حركة ثورية "تمردية" شاملة"⁴.

ولعل جوليان قد أوضح بأن 08 ماي ليس مبعثه فاشيا بقدر ما هو عزم على محاولة تنظيم لحركة ثورية شاملة.

كما بين آجرون، موقفا آخر لـ: روجيه لتوغنو Roger Le Tourneau في كتابه "التطور السياسي لإفريقيا الشمالية المسلمة"، معنونا دراسته بـ: عصيان القطاع القسنطيني (Le Soulèvement de Constantinois) الذي اعتبره في المقام الأول بـ"التعبير عن الحقد أو الغل الوحشي للأهالي ضد فرنسيي الجزائر".

وهنا لابد أن نوضح رأينا نحن لسنا كجزائريين فقط، وإنما كإنسانيين نفكر بالمنطق، فأى حقد أو غل أكثر من التعسف في استعمال القوة بوحشية من طرف فرنسا الاستعمارية ضد شعب أعزل أراد التظاهر بسلم من أجل تقرير مصيره، وذلك من خلال فقط المقارنة في عدد الضحايا، فهل يقارن مقتل 104 شخص أوروبي بـ 45 ألف شهيد جزائري، وحتى لو قلنا 1500 الرقم الذي أقرت به السلطات الاستعمارية، على لسان وزير داخليتها هل الأمر يعقل بهذه الطريقة؟. وحتى التقارير الفرنسية تؤكد بأن الشرطة الفرنسية كانت تتربص بالوطنيين الجزائريين في هذه الفترة، وهذا ما يؤكد تصريح وزير الداخلية "تكسيي" TIXSIER في تصريح له بشأن ما حدث في 8 ماي 1945: "ليس عندي برهان على أن القادة الوطنيين كانوا يفكرون في إطلاق ثورة عارمة

⁴ أندري جوليان: إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1976، ص 336.

حقيقية يوم 8 ماي، بل كانوا يفكرون في استعراض قوتهم، وتأكيدهم في العمل وتسجيل أهميتهم بالنسبة للسلطات الفرنسية وحكومات الحلفاء⁵.

وقد أوضح آجرون كذلك في المقال محل التحليل رأي الكتاب الشيوعيين الذين أقرّوا -على عكس من ذلك- على أطروحة الاستفزاز من طرف السلطات الفرنسية فأعطى مثالا ب: هنري علاق Henri Alleg الذي اعتبر 08 ماي 1945 في كتابه: **حرب الجزائر، "عملية تنفيذ مجزرة" (une mise en place pour un massacre)**، ثم يأتي توضيح الرأي الجزائري على لسان حركة انتصار الحريات الديمقراطية التي تقول : **"إنها مؤامرة واستفزاز استعماري متبوع بإبادة جماعية"**. من جهة أخرى فقد أثار **محمد حربي** المشاريع الثورية لحزب الشعب الجزائري كقاعدة مباشرة للحوادث وذلك ما سيأتي على تفسيره العنوان التالي من المقال.

3-تاريخ ما قبل الأحداث:

- عرض آجرون- وتبعا لهذا العنوان-

- الوضع السياسي للجزائر قبل 8 ماي 1945
- قناعات الشعب الجزائري.
- موقف السلطات الفرنسية.

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وبالرغم من انتصار فرنسا فيها إلا أنها فقدت هيبتها بالنسبة للجزائريين، ويقول آجرون إن رسالة **فرحات عباس** غير المنشورة والموجهة إلى الرئيس روزفلت في 20 ديسمبر 1942 هي الدافع الأول للمظاهرات خاصة بعد لقائه بالسفير الأمريكي **Robert Murphy**

⁵ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثالث، ص 248

عارضاً عليه مبادئ حزبه الذي أصبح فيما بعد يسمى ببيان الشعب الجزائري بعد أن ضم إليه مختلف تيارات الحركة الوطنية (حزب الشعب، جمعية العلماء المسلمين). ومن المعلوم أنه تم التقاف الوطنيين والإصلاحيين حول البيان الجزائري في الوقت الذي كان فيه مصالي مسجوناً في المنفى*، وفقد الناس الثقة في ابن جلول الذي كان متذبذباً في مواقفه، وخلال هذه الفترة حاول فرحات عباس ملء الفراغ السياسي، خاصة بعد إطلاق العنان للشيوعيين ليستأنفوا نشاطهم، وأسس فرحات عباس تياراً وسطاً يعرف "بالبيان الجزائري" بتاريخ 10 فيفري 1943⁶، والذي مثل التفكير المعتدل، وتمكنت الحركة الوطنية من توحيد صفوفها من خلاله والاتفاق على مطالب موحدة حتى ولو كان ذلك لفترة وجيزة. كما نوه آجرون بأن حزب الشعب الجزائري المحل، هو الذي كان يحمل في ذلك الوقت فكرة أن الحرية تؤخذ من فرنسا بالقوة ولا بد من العمل من أجل تعميم فكرة العمل الثوري.

* كان معتقلاً من طرف ديغول في ديسمبر 1943. ثم نفاه إلى برازافيل وبقي بها إلى غاية أكتوبر 1946.

⁶ محتواه:

1. إدانة الإدماج واستتكار الاستعمار والقضاء عليه.
2. تطبيق حق تقرير المصير لكل الشعوب
3. منح الجزائر دستوراً خاصاً، يتضمن:
 - الحرية والمساواة دون تمييز عرقي أو ديني.
 - إلغاء الإقطاع الفلاحي وتحقيق الإصلاح الزراعي.
 - جعل اللغة العربية رسمية مثل الفرنسية.
 - حرية الصحافة و الاجتماع.
 - التعليم الإلزامي المجاني لكل.
 - حرية الدين وفصل الدين الإسلامي عن الدولة
 - مشاركة الجزائريين العاجلة في حكم بلادهم.
 - إطلاق صراح المساجين السياسيين.

في هذه الأثناء، أعلن **ديغول** عن مجموعة من الإجراءات الشكلية في خطابه بقسنطينة يوم 12 ديسمبر 1943 الذي أسفر عن أمرية أو مرسوم 07 مارس 1944⁷ الذي رفضه الوطنيون باعتبار أنه جاء متأخرا وقد تجاوزه الزمن.

كما رُفِضَت الإصلاحات كذلك من طرف المستوطنين باعتبار أنها ستدفع الجزائريين -في نظرهم- إلى طلب المزيد من الحقوق، وذلك سيشكل خطرا على وجودهم كما سيقصص من نفوذهم السياسي ويهدد مصالحهم، فتخوفوا منه وحاولوا توقيفه عن طريق اللجان التي تنتظر إلى الإصلاح وكان انشغالهم بتحرير بلدهم قد أدى إلى كتمان غضبهم وظلوا يتحينون الفرص بالجزائريين، وكانوا يؤمنون بضرورة القضاء على الحركة الوطنية الجزائرية. أما **ابن جلول** فقد افتنن بها واعتبرها حلما يتحقق⁸ كما اعتبرها الحزب الشيوعي خطوة إلى الأمام⁹.

رُفِضَت الإصلاحات من طرف **فرحات عباس** رفضا قاطعا، باعتبار أنها جاءت هزيلة، وسخر من الفكرة برمتها بعبارة عارضة: "هذا الإصلاح فات أوانه"¹⁰.

⁷ منح المواطنة الفرنسية للنخبة الجزائرية، دون التخلي عن أحوالهم الشخصية مع منح استفادات مالية للمحاربين الجزائريين وتأجيل النظر في مستقبل الجزائر إلى ما بعد نهاية الحرب. وقد وصفه د/ رايح بلعيد بأنه بمثابة القنبلة السياسية التي تعادل في قوتها القنبلة التي ألقتها مشروع بلوم-فيولات.

⁸ لزهرة بدبدة، الحركة الديغولية في الجزائر 1940-1945، من الظهور إلى المواجهة مع الحركة الوطنية، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، قسم التاريخ، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2009-2010.

⁹ صالح مخنا، كتاب الحروب السرية على الجزائر المحروسة/ مذكرات ديغول تفصح سياسة الأرض المحروقة في الجزائر، على الموقع: Mokhtari.Over-blog.org

¹⁰ رايح بلعيد، المتغربون الجزائريون وأثرهم في التاريخ المعاصر (رسالة الأطلس).

كما أدان الشيخ **البشير الإبراهيمي**، رئيس جمعية العلماء الإصلاحات واعتبرها خطوة نحو الإدماج الذي يرفضه الشعب الجزائري المسلم رفضا باتا. ورفض **مصالي الحاج** المشروع للسبب نفسه، معتبرا أن تطور الجزائريين لا يمكن أن يتحقق إلا في ظل دولة جزائرية ومواطنة جزائرية¹¹. وفي 15 فيفري 1945، أثناء الاجتماع التأسيسي لجمعية العلماء المسلمين، أعلن الشيخ **الهادي سنوسي** "أن الذي يوافق على تعليمه 07 مارس 1944 سوف يعتبر كافرا ومرتدا".

وعلى العموم، فقد عرفت الجزائر خلال الفترة الممتدة من 1939 إلى 1942 شللا سياسيا بسبب الإجراءات التعسفية التي قامت بها فرنسا ضد أحزاب وشخصيات الحركة الوطنية الجزائرية دفع بهم إلى التكتل حول "البيان الجزائري" والمطالبة بالحقوق والمواطنة الجزائرية.

أما عن ردود فعل الصحافة الدولية حول موضوع الإصلاحات، فقد لخصه أجرون، في "رد فعل الصحافة المصرية"، التي دعت إلى عقد لجنة عليا من أجل الدفاع عن الجزائر، وضد فرنسا الشعب الجزائري العربي المسلم، كما اهتم البرلمان المصري والوزير الأول **النحاس باشا** بالقضية، وتبعتها الصحافة العراقية والسورية بالنبرة نفسها. وحتى إذاعة BBC طالبت . أثناء بث حصة (المستمع العربي) . بتدخل دول الحلفاء من أجل منع فرنسا من محاولة بتر الجزائر عن الأمة العربية. وروجت وكالة (Reuter) لذلك في العالم كله.

¹¹ لزهو بدبدة، مرجع سابق. ص 236.

وفي ظل هذه المواقف أنشأ **فرحات عباس** "جبهة أحباب البيان والحرية" AMR في 14 مارس 1944 تضم جميع العناصر التي ساهمت في إعداد البيان.

بعد هذا، انتقل آجرون للحديث عن نقطة أخرى إضافة إلى الوضع السياسي للحركة الوطنية، وهي الحديث عن تقارير الاستخبارات العسكرية، التي كانت تحذر كل شهر من سنة 1945 بعدم استقرار الوضع. ومنها تقرير شهر أبريل 1945 والذي يكرر عن يقين ويذكر: "في سطيف، مصادر مختلفة، تؤكد بأن حزب الشعب ينظم لتمرّد عام، داخل البلاد، وحتى في القرى التي تظهر هادئة..." والظاهر أنهم قرروا خوض ثورة بلا هوادة من أجل التخلص من (الفرنسيين القذرين)¹². هذا ما جاء في التقرير العسكري، ويبدو أنه جاء متأثراً برأي المستوطنين في الجزائر والذين أفرعتهم إصلاحات **ديغول**، فأرادوا الانتقام من الشعب الجزائري.

وبالرغم من وجود هذه التقارير إلا أن السلطات المدنية والعسكرية الفرنسية لا تعلم أي شيء دقيق عن تاريخ أو مكان أو أشكال العمل المختار لتنفيذ تلك الثورة.

ويقول آجرون: وحتى أن العسكريين كانوا على علم بعمليات تمرير السلاح بين تونس والجنوب الجزائري ولذلك كثفوا المراقبة على الحدود خاصة بعد ملتقى العمل (Conférence de travail) الذي عقد في تبة يوم 22 ديسمبر 1944 بين الحاكم العام والمقيم العام والجنرال هنري مارتين (Henry Martin)

¹²-Charles Robert Ageron : Les troubles du nord-constantinois en mai 1945.in:Vingtième siècle .Revue d'histoire. N°4, octobre1984.p.28

وتمت بذلك التعزيزات من الجيوش الفرنسية على الحدود الجزائرية مع تونس والحدود الجزائرية- المغربية تحسبا لأي طارئ.

3- حقيقة أحداث 08 ماي 1945:

أعطى روبير أجرون عدة تأويلات لمظاهرات 08 ماي 1945 منها: أنها مظاهرات من أجل الجوع، وفي بلاغ نشره وزير الداخلية الفرنسي يوم 16 ماي 1945 ذكر فيه أن أسباب الحوادث تعود إلى مشاكل التموين بالقمح، نتيجة ثلاث سنوات من الجفاف وهذا ما فنده بعض الكتاب الذين قالوا بأن منطقة القطاع القسنطيني منطقة غنية بالمحاصيل الزراعية وخاصة القمح، ولكن مع ذلك بقيت حkra على المستوطنين الأوروبيين دون غيرهم من بقية الشعب الجزائري، كما استبعد هذا السبب كذلك من طرف تقرير الجنرال توبير على أساس أن المتظاهرين وفي مناطق عديدة لم يفتحوا مخازن الحبوب أو يستولوا عليها، ويرجع حسب ما توصل إليه -بالرغم من أنه لم يكمل عملية التحقيق في ما حصل في ماي 1945 -أن سبب هذه الأحداث هو سياسي بالدرجة الأولى وسببه المباشر والفوري هو نزع الرايات من أيدي المتظاهرين¹³.

ثم يذكر أجرون في المقال محل الدراسة، أن هناك من نسبها إلى النظامين الفاشي والنازي. وهذا ما ادعاه الحزبان الشيوعيان الفرنسي والجزائري: "... (إنها) حفنة من الأشقياء المنتمين إلى حزب الشعب الجزائري العملاء

¹³ Commission chargée de procéder à une enquête administrative sur les événements qui se sont déroulés dans le département de Constantine, le 08 mai 1945 et jours suivants (Rapport Tubert), dans R.A.S.J.E.P, p.293.

التهليبيين)الذين وصل بهم الأمر إلى دفع الجموع الجزائرية المسالمة إلى الخوض في مغامرة دموية...¹⁴.

كما يقول العربي بوهالي في جريدة (Liberté) في يوم 24 ماي 1945 أو كباليرو في الجريدة نفسها بتاريخ 21 جوان 1945 : "إن أحباب البيان هم مطية حزب الشعب الجزائري الهتلري"¹⁵

وفي هذا الجو، يقول آجرون، أنه كان يصعب على الجزائريين معرفة حقيقة أحداث 08 ماي.ومهما يكن فإننا نستطيع أن نستنتج بأن الوضع العام في الجزائر قبل المظاهرات تميز بفشل سياسي واجتماعي بالنسبة للسياسة الاستعمارية في الجزائر مما تسبب في تشديد الخناق على الوطنيين، وتوليد حالة من الفقر والحرمان والأمراض الفتاكة.

4- مواقف بعض الشخصيات الوطنية حول حقيقة مظاهرات 08 ماي 1945:

يورد آجرون مواقف بعض الشخصيات الوطنية حول من كان وراء تنظيم هذه المظاهرات وهل كانت بالفعل مخطط لها أم هي نتيجة وضع مأساوي عانى منه الجزائريون طيلة أكثر من قرن من الزمن تحت نير الاستعمار الوحشي؟

نجده يورد رأي مصالي الحاج المتهم الرئيسي من طرف السلطات الفرنسية بهذه المظاهرات، فيقول أن مصالي نفسه كان يجهل التفاعل الحقيقي للأحداث والهدف الرئيسي من وراءها، ففي جويلية 1954 وفي مؤتمر هونرو

¹⁴ محمد ثقية، الثورة الجزائرية، المصدر والمآل، ت: عبد السلام عزيزي، دار القصبية للنشر، الجزائر، 2010، ص 110.

¹⁵ نفسه.

يصرح قائلاً: "هل هي إذن جريمة إذا درسنا بطريقة علمية هذه المأساة التي أودت بـ 40000 قتيل من الشعب الجزائري".

وفي هذا الصدد يجيب عبد الحميد بن الزين أحد مناضلي حزب الشعب الجزائري الذي تم اعتقاله مباشرة بعد أحداث 8 ماي 1945 والذي انخرط في صفوفه منذ سنة 1940 ليناضل في سرية في أرياف القطاع القسنطيني وفي الأوراس، يجيب عن سؤال طرحه عليه محمد تقيّة فيقول: "هل كان ثمة أمر صدر عن حزب الشعب الجزائري أو عن أحباب البيان والحرية بالتحضير لانتفاضة ما؟"

يجيب بن الزين قائلاً: "لا ... في الحقيقة فيما يخصني في تلك الفترة كنت قائداً متوسطاً، فقد وصلتنا وقتها تعليمات للخروج في مظاهرات يوم 8 ماي 1945 وحمل الأعلام والرايات والمطالبة باستقلال الجزائر، ولكني لم أسمع أبداً الحديث عن انتفاضة ما"¹⁶.

5- كم كان عدد الضحايا؟

يقول آجرون أنه مهما كان على المؤرخ، حتى ولو لم يتحصل على معلومات جديدة، عليه أن تكون لديه روح النقد من أجل أن يستبعد الأرقام الخيالية أو سوء التقدير المغرض لها.

فبعد خمسة عشر يوماً من القمع أوضح التقرير الرسمي للسلطات العسكرية الفرنسية بأن عدد الضحايا كان في الجانب الأوروبي 97 قتيلاً منهم 13 عسكري و116 جريحاً منهم 20 عسكرياً.

¹⁶تقيّة، مرجع سابق، ص ص 114 - 115.

أما في الجانب الجزائري فيقلص عدد الضحايا إلى 550 حسب الجنرال مارتن وذلك يوم 16 جوان 1945. وحسب تقرير لجنة التحقيق برئاسة الجنرال تيبور (Tubert) أوردت رقم 15000 قتيل وهو أعلى رقم اعترفت به المصادر الحكومية الفرنسية الرسمية، في حين ذكر الجنرال ديفال **Duval** بأن عدد القتلى في صفوف الأهالي يتراوح ما بين 500 إلى 600 قتيل أما الجنرال (WEISS) من جانبه يذكر بأن عدد الضحايا الذين سقطوا نتيجة القصف الجوي على أقصى تقدير لا يتجاوز 200 ضحية. أما تقرير البحرية العسكرية فيورد بأنه وعلى أثر مناوشات بين ولايتي بجاية وجيجل وعلى لسان الأميرال Amanrich Coutre، فقد تحدث عن سقوط 4 قتلى.

لكن رغم هذه التقارير الأمنية عن عدد القتلى الجزائريين الذين سقطوا على يد الشرطة والميليشيات، يقول آجرون أن الرقم الحقيقي يبقى مجهولا، إذ أن القنصلية الأمريكية في الجزائر تكلمت عن 35000 قتيل. وأنه و ابتداء من سنة 1951 اعتادت حركة الانتصار على الحديث عن 45000 شهيدا، "إبادة سطيف، هذا الحمام من الدماء، الذي نتج عنه 45000 قتيل". كما ذكر محمد خيضر الرقم نفسه عام 1955 أثناء لقاء صحفي، وحسب وزير الداخلية الفرنسي **Adrien Tixier** فإن عدد الضحايا لا يتجاوز 1500.

أما جريدة البصائر اللسان المركزي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين فلم تتوان عن التأكيد أن عدد الضحايا قد تجاوز 80 ألف قتيل، بل إن بوصوف صرح في اجتماع تم في ديسمبر 1946 أمام ممثلي اللجنة المالية وهو عضو فيها أن عدد ضحايا 8 ماي 1945 هو 90 ألف شهيد، وهذا ما أثار ضغينة

مؤلفة كتاب La paix pour dix ans فرانسيس ديسانى Francine Dessaigue واعتبرته مزايدات بدون أدلة¹⁷.

ويعقد آجرون مقارنة بين ما حدث في 8 ماي وبين ما حدث في 20 أوت 1955 وتقريبا في نفس المنطقة (الشمال القسنطيني)، ويقول أنه حسب الحاكم العام سوستيل فإنه في يوم واحد تم قتل 1273 ضحية جزائرية بالمقارنة بين 71 ضحية أوروبية يقول من المستحيل أنه بعد 15 يوما من القمع الدموي شارك فيها فرق المشاة من السنغال، وتقوم 28 طائرة بالتدخل بـ 20 عملا قمعيا، أضف إلى تدخل القوات البحرية، وعمل فرق الميليشيات تكون الحصيلة رقم ليس له أي معنى. واستنتج أن الرقم أعلى بكثير من الرقم الذي صرحت به وزارة الداخلية الفرنسية. ومهما يكن فإن الأرقام المصرح بها من طرف الحكومة الفرنسية تبقى بعيدة كل البعد عن الواقع، وأن الجريمة لم تكن عفوية بل كان مخطط لها حتى على المستوى الإعلامي الذي عمل على إخفاء الحقيقة بكل الوسائل.

6-ملاحظات:

بعد تحليلنا لمقال الدكتور شارل روبير آجرون نستطيع أن نضع الملاحظات التالية:

- بالرغم من الإشكالية الهامة التي وضعها للموضوع إلا أنه لم يستطع الإجابة عنها هل هي مؤامرة أم حركة ثورية (تمردية)، ولم يستطع الجزم المطلق في من كان وراء أحداث 8 ماي 1945 .

¹⁷ سعدي بزيان، جرائم فرنسا في الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 29-27

- لم يستطع أن يصور لنا بالتحديد فظاعة جريمة مجازر 8 ماي 1945، ولم ينقل لنا الصورة الوحشية للقمع الدموي .
- اعتمد كثيرا على التقارير الفرنسية في محاولته تحليل مجازر 8 ماي تلك التقارير التي تبقى دائما متحيزة من أجل الدفاع عن الفرنسيين وإظهارهم بمظهر المسالمين وإخفاء حقيقة القمع الدموي الذي مورس ضد الجزائريين .
- كما لم يذكر في هذا المقال بالتحديد ،المسؤولين المباشرين عن هذه المجازر ،في حين نجد بعض الأساتذة الجزائريين والمختصين في تاريخ الجزائر قد تحدثوا عن ذلك من خلال ما توصلوا إليه من وثائق حول تقارير العسكريين أنفسهم عن مسؤوليتهم في هذه المجازر،ومن بينهم دراسة الدكتور صالح فركوس المنشورة على شبكة الإنترنت والخاصة بهذا الموضوع .
- قلل من عدد الضحايا ،ولكن بالمقابل لم يرض بالرقم الذي أقرته السلطات الفرنسية وهو 15000 قتيل ،وهو في ذلك يتفق مع الكثير من الفرنسيين المعتدلين ومنهم الباحثة المختصة في تاريخ الأوراس **جيرمين تيونو** التي أكدت أن الرقم الحقيقي لعدد المقتولين من الجزائريين من طرف الجيش الفرنسي يجب أن يكون أقل من 45 ألف قتيل ،ولكنه يتجاوز 15000 قتيل. في نفس الوقت نجده أعطى مقارنة هامة بالنسبة لعدد من الأحداث المهمة الأخرى وهي أحداث 20 أوت 1955 ،حاول من خلالها تحدي السلطات الاستعمارية في الرقم المقلص من طرفها.

- يتحمل المستوطنون الفرنسيون مسؤولية كبرى في المذبحة التي وقعت للوطنيين في 8 ماي 1945 من منطلق أن أوروبيي الجزائر كان يؤرقهم جدا أمر الإصلاحات التي بدأ الكلام عنها منذ أن صدر أمر 7 مارس 1944.
- مهما يكن ،فان شارل روبيير آجرون استطاع أن يكشف جوانب مهمة من السياسة الاستعمارية في الجزائر، تناولها بمصادقية عالية ،وبروح علمية فائقة ،أرضت ضميره المهني وجعلت الكثيرين يشيدون بأعماله ولكن في نفس الوقت،أثارت عليه سخط المعمرين والأقدام السوداء حيث ضيقوا عليه وحاولوا عزله عن النشاطات العلمية في الجامعات الفرنسية إلى غاية وفاته.

خاتمة:

تعتبر مجازر 8 ماي 1945 نقطة تحول حاسمة في تاريخ الحركة الوطنية ،التي اقتنعت أكثر من أي وقت مضى بمشروع الحصول على الاستقلال عن طريق العنف الثوري،طبقا لمقولة ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة.كما يعتبر مؤامرة قذرة من طرف المستوطنين الفرنسيين ضد الشعب الجزائري، ومهما حاولت فرنسا محاصرة الحدث والتقليل من شأنه إلا أنه يبقى وصمة عار على جبينها. وعلينا كباحثين أن نبذل كل ما في وسعنا لاستكمال ملفنا والمطالبة بالاعتراف بما اقترف في حق شعبنا.

وخير ما نختم به،قول الشيخ البشير الإبراهيمي "يا يوم...، لك في نفوسنا السمة التي لا تمحى ،والذكرى التي لا تنسى فكن من أي سنة شئت ،فأنت يوم مجازر 8 ماي وكفى ، وكل ما لك علينا من دين أن نحكي ذكراك ،وكل ما علينا من واجب ،أن ندون تاريخك في الطروس ،لئلا يمسه النسيان من النفوس " .

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- آجرون، شارل روبير: الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871 1919) م ترجمة محمد حاج مسعود/ ا. بكلي، الطبعة الأولى، دار الرائد للكتاب الجزائر 2007 م.
- 2- آجرون، شارل روبير: تاريخ الجزائر المعاصر، ترجمة عيسى العصفور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الثانية، 1982.

- 3- جوليان، شارل أندري: إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1976.
 - 4- بديدة، لزهر، الحركة الديغولية في الجزائر 1940 - 1945، من الظهور إلى المواجهة مع الحركة الوطنية، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، قسم التاريخ، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2009 - 2010 .
 - 5- مخنا، صالح، كتاب الحروب السرية على الجزائر المحروسة/ مذكرات ديغول تفصح سياسة الأرض المحروقة في الجزائر، على الموقع: Mokhtari.Over- blog.org
 - 6- بلعيد، رابح، المتغريون الجزائريون وأثرهم في التاريخ المعاصر (رسالة الأطلس).
 - 7- تقية، محمد: الثورة الجزائرية، المصدر والمآل، ت: عبد السلام عزيزي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2010.
 - 8- بزيان، سعدي: جرائم فرنسا في الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
 - 9- فركوس، صالح: تقارير سرية استعمارية حول مظاهرات ومجازر 8 ماي 1945 بالجزائر، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، العدد 26، 2009.
- . المصادر والمراجع الأجنبية :

10 - Hommage à Charle-Robert Ageron.sur:
www.bouchene.com

11 - Ageron, Charles Robert : Les troubles du nord-constantinois en mai 1945.in:Vingtième siècle .Revue d'histoire. N°4, octobre1984.

12 - Commission chargée de procéder à une enquête administrative sur les évènements qui se sont déroulés dans le département de Constantine,le 08 mai 1945 et jours suivants (Rapport Tubert), dans R.A.S.J.E.P.